مجـرد همسات

اسم الكتاب:	مجرد همسات
اسم الكاتب:	د. محمد محمود أسعد
تصميم الغلاف:	أماني محمود
الإخراج الفنيّ:	جمال عبد الرحيم
الطبعة:	الأولى
رقم الإيداع:	15787 / 2024
الترقيم الدولي:	978-977-8973- 86 - 0

Gmail	almaktaba79@gmail.com
facebook	Facebook.com/almaktaba79
	01030365801 – 01014977934

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

مجـــرّد

همســـات

د. محمد محمود أسعد

تقديم

تسليط الأضواء على الأحداث المتعددة، يبرز طبيعة الوجود والاختلاف بين الناس في إعادة تجديد قراءة التجاوزات الثقافية والانفتاح على الحرية الفكرية، المدخل والإطار المرجعي في اختيار النصوص كمقاربة دينامية حوارية نقدية أساسها القيم المشتركة.

قد يكون من الأهمية بمكان العمل على توسيع دائرة الرؤية الأدبية النقدية من أجل تقديم مؤلف "مجرد همسات" الموسوم للدكتور محمد محمود أسعد، الذي يزخر بمزيج من المقالات القصيرة، متنوعة العناوين العريضة القيمة بفنيتها وما تدخره من فيض الأفكار النيرة التي تم توظيفها في مجال الدين والأدب والعلوم والإدارة...، تحديًا للرياح الهوجاء، وذلك بامتلاك النجاعة على ترويض المصطلحات الإبداعية وحبكها وصياغتها، مباريًا السلف من الكتاب بسلاسة الفهم، متجاوزًا المألوف المتعارف عليه. شاهرًا القلم الصريح من أجل نسيج متماسك من المعارف التي تُبهر المتلقي بطهر الأنامل وشذى الأحرف المائزة التي تستميل الفكر والبصيرة وتجذب عقول الجهابذة القريرة، بدعوة التقييم والمصالحة والمقاربة الفكرية الجريئة، انطلاقًا من رمزية الطرح في الصدق والعفوية والثقة في صياغة الأفكار واحتضان معانيها في سياقها التعبيري المركب الدقيق أمام واقع يتجلى بأبعاد ترسم عوالم بلاغية بفيض ارتشافات الإبداع الأدبي المتناثر البناء على مستوى الأسلوب الخطابي ولملمة الصورة وتأطير النص.

مقالات

"صمت الكاتب"

تبرز رؤية القارئ إلى الأديب أو الكاتب كجزء من المنظومة الاجتماعية بين سر البوح الذي يتقاسمه مع الصمت الداخلي لأفكاره.

"قراءة في عنوان"

تعالج بُعد النص الإعلامي حول جائزة نوبل للآداب.

"الاستثنائية البشرية"

تحدد الفرق الجوهري في الخلق بين الإنسان والحيوان.

"مقام صاحب الفضل"

إشارة فضيلة إلى دوام السخاء والنعم الربانية على الخلق.

"التخطيط الاستراتيجي والأداء المؤسسي"

تبرز الالتزام الإداري بالضوابط المنظمة كمرجع أساس لمفهوم القيادة والتخطيط الاستراتيجي.

"الكذب.. بين الفن والعادة"

تأثير القناعات السلبية على سيكولوجية الأشخاص.

"مستقبل التردي"

إشارة إلى ارتداء أرقى الملابس والتعري من القيم.

"رفاق الرحلة"

نقطة التوازن في مجتمعات التحديات.

"التفرغ الثقافي ضرورة"
"الحياة اختيار والسعادة قرار"
"البدايات أم النهايات؟"
"المرجعية الدينية ضرورة"

.....

ثلاثون مقالاً ونيف، يطرح من خلالها الأديب تساؤلات حول التنشئة الاجتماعية في إطار نظرية الاستيعاب وفرضية الاستمرارية، إذ يلمح في ذلك إلى كشف المشاكل وآليات معالجة البيئة الفكرية نظرًا لتعاظم الاختلافات الاجتماعية والثقافية، لأن استمرارية المسافة العلمية ليست تصورات بسيطة، بل وليدة نشاط فكري متميز متعدد الأشكال، ينعم بالسمو والصفاء بعيدًا عن التأويل.
أديبنا القدير د. محمد محمود أسعد نسجت فأجدت في رحاب الفكر بمخزون من التجليات الصامتة بأسلوب الجهر.

د. محمد جستي

عميد الأكاديمية الدولية للكتاب والمفكرين المثقفين العرب
أمين عام الاتحاد الدولي للكتاب العرب
دكتور أكاديمي في العلاقات الدولية

إهـــداء

إلى أنواري المضيئة في دياجير الأيام،
إلى عيوني التي أرى فيها الحياة دائمًا مزهرة،
إلى علاقاتي الناجحة بمختلف الظروف والأوقات
إلى أخَويّ مصطفى ولؤي
إلى أخواتي وحيدة، وسوسن، وفداء، ومها،
إليكم جميعًا أهدي هذا الكتاب

أخوكم محمد ،،

إضـــاءة

"مجرد همسات" بضع وثلاثون مقالاً قصيرًا جُمعت في كتاب قد يكون جليسك في الحضَر وأنيسك في السفر وقد يكون سميرك الظريف ونديمك الحصيف. فالمقالة العربية بصغر حجمها، ووحدة موضوعها، وسلاسة أسلوبها وشكلها النثري استطاعت التطرق لمواضيع متنوعة في المجالات الأدبية، والفكرية، والاجتماعية، والنقدية.

مضامين هذا الكتاب هي في مجملها اجتماعية فيها خواطر بألم وهمسات بأمل تسللت إلى وعيي من خلال ما نعيشه في حياتنا اليومية من حالة ضبابية لا نُحسد عليها وبين بصيص من أمل ولو في آخر النفق.

"مجرد همسات" وصايا نافعة ومواعظ جامعة واهتمامات مشتركة فيها أشياءٌ من رياحين الدين، وياسمين الآدب، وعبق الإدارة، وشقائق العلوم، وأزاهير الحياة، فيها الكثير من الدلالة وإلى أهل الشأن فيها إشارة، في أسفلها تجدون محاولات تراجمية بسيطة (هوامش) لبعض الأسماء والمفاهيم.

والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق..

المؤلف

صمت الكاتب

اعتدنا أن نسمع إجابات مختلفة لسؤال واحد يتكرر في معظم المقابلات الصحفية مع الكُتّاب والأدباء.. محور السؤال عما إذا كان هنالك طقس خاص يتبعه الكاتب عندما يأتيه الإلهام ليكتب. فمنهم يجيب بنعم المؤكدة ومنهم بلا النافية ومنهم ما بين بين، لكن ما شد انتباهي هو وجود قاسم مشترك بين جميع تلك الإجابات المتنوعة هو حالة الكاتب نفسه بعيدًا عن المكان والزمان اللذين يقصد بهما السائل في سؤاله...حالة لا يمكن أن توصف إلا بهدوء وسكينة قد تكون مريبة تنتاب أهل القلم أثناء طاعتهم لوحي الكتابة. صمت رهيب وشفاه مطبقة، وعيون لامعة، وحركات غريبة، وتقاسيم وجوه تبوح بشيء ما.

حالة الكاتب تلك أقل ما يُمكن وصفها بـ "صمت الكاتب" ولعل هذا ما يتقاطع فعلاً مع وجهات نظر الأفراد الذين يشاطرون الكاتب حياته اليومية مثل الزوج/ة، الأولاد، الجيران، الأصدقاء.. فكثيرون منهم يصف الكاتب بكائن غير اجتماعي، آخرون يرونه منعزلاً عما حوله، بعضهم يصفه بمن يُحدّث نفسه، بينما البعض الآخر يراه بالهائم العائم لا تعرفه إن كان هنا أو في عالم آخر.. تقريبا كلهم أجمعوا أن الكاتب هو ذلك الشخص المختلف وغير المنتمي اجتماعيا.

لا اختلف أبدًا مع من يصف الكاتب بالشخص الهادئ الممل فكل شيء حوله يرقص بتناغم لكن ليس عنده ، تراه دائمًا في عالم يسوده عصف ذهني وصمت قاتل، كل شيء يبدو حوله وكأنه في قمة الحياة إلا عنده.. دائما يقبع في سكون وشرود، لا شيء يلح على الوصول إليه بسرعة إلا فكرته قبل أن تخونه الذاكرة ويهجره الوحي، لأنه يرى في الكتابة أمانة والأمانة تحتاج لعاقل يحملها ويقوم بها، والعاقل يحتاج لهدوء، فالإنسان العاقل حمل الأمانة لأنه ذو حكمة ميّزه الخالق بها عن غيره من المخلوقات.

ألا ترون في العقل نعمة وصاحب النعمة منوط به تحمل المسؤولية والأمانة؟!

أليس الإنسان العاقل صاحب كلمة مسؤولة بإمكانها أن تجّمل مشوهًا وتنهض بمجتمع كامل من قعور ودمار إلى قمم واعتبار؟

أليست الحكمة مقرونة بالروية والهدوء وأحيانا بالعزلة والعزوف عن توافه الأمور.؟!

حقًا، إن صمت الكاتب يا سادتي عجيب لكنه ليس بلاهة ولا مبالاة كما تظنون فإنما صمته غالبًا ما يتبعه عاصفة فيها بروق ورعود وصبٌ نافع بمشيئة الله وعونه.

*

قراءة في عنوان

شدني باهتمام عنوان قرأته مؤخرًا في إحدى وسائل الإعلام جاء فيه: الفائز بنوبل للآداب يون فوسه[1] "الكتابة يمكن أن تُنقذ الأرواح".

قرأت العنوان أعلاه بإعجاب وطالعت نص مقاله بإمعان شديد موقنًا إن مقولة الكاتب النرويجي يون فوسه (Jon Fosse) الحائز على جائزة نوبل للآداب عام **2023** وصاحب المسرحيات الأكثر عرضًا في العصر الحديث، لم تكن إلا جوهرة أخرى مصاغة من جواهر الرؤى الأدبية والأفكار الإنسانية في حق الكتابة وخاصة الإبداعية[2] منها التي تذخر بها كتب الآداب وفنون المعرفة.

أحسنت يا يون فوسه إذ رأيت في الكتابة إنقاذًا من شر مستطير كما رآها كثيرون غيرك مثل بحرٍ ساكن في وجه إعصار، وغصن زيتون في ميدان دمار، وجرعة دواء في أزمة داء.

---

1 يون فوسه Jon Fosse (**29** سبتمر **1959**م -) كاتب نرويجي حائز على جائزة نوبل للآداب عام **2023**، يُعد من مؤلفي المسرحيات الأكثر عرضًا في العالم، ترجمت أعماله لأكثر من **40** لغة حول العالم، من أعماله المنشورة (أحمر أسود) و(الاسم الآخر) و(اسم جديد) و(أنا هو الأخر).

2 الكتابة الإبداعية: كتابة تُعبِّر عن المشاعر والتجارب الشخصية للكاتب بطريقة فريدة وأسلوبٍ منمق، وهي ابتكار وليست تقليد يُظهر الكاتب فيها حصيلة لغوية قوية وذهن مكتظ بالأفكار الخلّاقة التي تجذب القارئ وتؤثر فيه على عكس الكتابة الوظيفية التي تركز على سرد وتدوين حقائق ودراسات بعيدا عن مشاعر وأراء الكاتب.

يخطئ من يرى أن مهمة الكتابة سيفٌ مسلول وفأسٌ هدّامة وضربةُ مدفع وصفعةُ بصفعة وأداة لفل حديد وتأجيجٌ لنار مضرمة كما تفعله بعض الخطابات الجوفاء، إنما الكتابة وخاصة الإبداعية منها (Creative writing) لا تشن حربًا ولا تدعو لفتنة ولا تنشر رذيلة، هي لمسة حانية وكلمة حكيمة وأدب جم تُطفئ نار فتنة وتُعمم فائدة مرجوة، هي معول لأصحابها في زرع الشتول وفلح الحقول كي تزهر وردًا وتنبت قمحًا، وغير ذلك هراء بهراء.

ليست الكتابة الإبداعية كما يظن البعض أنها فقط مرآة عاكسة لمشاعر كاتبها كونها تنجرف أمام التيار، وتتبدل بتبدل الظروف وتغيير المواقف. إنما هي أيضًا موقف ثابت ورأي ناضج لا تُغيره ظروف ولا تُبدله مواقف. هي بحق أمانة ومسؤولية شأنها شأن العلوم والأفعال الإنسانية الخَيّرة يمكنها أن تلجم شرًا كاد أن يقع، وأن تُبّسط شدة كادت أن تنفجر، وتُعافي محزونًا كاد أن ينتحر، وتصل مقطوعًا كاد أن يتشتت.

أبدًا، الكتابة الإبداعية ليست مسابقة أو مكسب ولا بحثًا عن غاية أو مطلب، إنما هي لواعج قلوب نازفة، وأنفاس أرواح متصدعة، وهمسات نفوس تواقة تُحب أن تُفصح عما يعتريها.

أحسنت يا يون فوسه، فالكتابة الإبداعية تُنقذ أرواحًا وتنعش قلوبًا وتزرع وردًا وتحصد قمحًا لأنها رابط واصل وبحر رؤوم ورسالة سامية وموعظة هادفة تدعو إلى سبيل الرشاد بحكمة وروية لا بعنجهية وغباء.

الكتابة باختصار يا سادتي "قل خيرًا أو اصمت" ولئن أُجبرت على الصمت في عالم منافق فاكتب لنفسك لأن الكتابة هي صرخات أنينك وهمسات حنينك ونبضك المتسارع.

فهلا سعينا أعزائي القراء أن نقرأ بشغف لنرتقي، ونكتب بإبداع لنبني جيلاً بدل أن نهدم الإنسان قبل البنيان؟!

*

الاستثنائية البشرية

صحيح أن مفهوم الاستثنائية البشرية[3] كان سائدًا على مر الزمان، إلى أن جاء داروين[4] بنظرية التطور[5] التي افترضت أن البشر والحيوانات يشتركون في أصل مشترك. لكن مع تطور العلوم اتضح إن القدرات المعرفية الفريدة عند البشر تمييزهم عن باقي الكائنات الحية. ولعل هذا الاختلاف في الخلق ظهر جليًا في النصوص الدينية حيث تم تمييز البشر عن الحيوانات في منحهم العقل والمعرفة والمسؤولية الأخلاقية {ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم}[6] و{لقد خلقنا الإنسان في كبد}[7] أي في استواء واستقامة.

يتبين مما تقدم أن هنالك فرقًا جوهريًا بين البشر وبين الحيوانات في قصة الخلق بما أكرم الله جل شانه بني البشر بالعقل كي يتحملوا أمانة

---

[3] الاستثنائية البشرية: مصطلح يشير إلى قدرة الإنسان على تحقيق أداء غير عادي أو استثنائي في مجال معين تميزه عن باقي الكائنات الحية تساهم في تطوير المجتمعات والثقافات.

[4] تشارلز داروين:(**1809- 1882**) عالِم تاريخ طَبيعي وأحيائي وجيولوجي بريطاني اكتَسبَ شهرته من نظريته نظرية التَطور والتي تَنص على أن كل الكائنات الحَية على مر الزمان تَنحَدِر من أسلاف مُشتركة.

[5] نظرية التطور قام داروين بصياغة نظرية التطور عن طريق الاصطفاء/ الانتقاء/ الانتخاب الطبيعي في كتابه «أصل الأنواع» عام **1859**، العملية التي تتغير فيها الأحياء بمرور الوقت بسبب التغير في السمات الجسدية والسلوكية الموروثة. تسمح هذه التغيرات للكائنات الحية بالتكيف في بيئتها وتساعدها على النجاة والتكاثر.

[6] سورة التين، آية **4**

[7] سورة البلد، آية **4**

المسؤولية والتفكير واتخاذ القرار، بينما الحيوانات مخلوقات بلا عقل مدفوعة بالفطرة دون تفكير .

ولعل الفرق بين البشر والحيوانات يظهر جليًا في التحكم بالغرائز والرغبات فالإنسان السوي يستطيع أن يكبح غرائزه ويضبطها من خلال معرفته وتفكيره، بينما الحيوانات بحلٍ من ذلك لأن ليس لديها المعرفة ولا المقدرة على كبح تلك الغرائز، ولعل هذا الفارق بالقدرات المعرفية يظهر واضحًا أيضًا في التشريح الطبي حيث أن دماغ البشر أكثر تعقيدًا وتلفيفاً من دماغ الحيوانات.

وتأكيدا لمفهوم الاستثنائية البشرية كرّم الله تعالى بني آدم بخلافتهم على الأرض ليكونوا ساكنين فيها ومعمرين لها {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}[8]لعمق تفكيرهم ورجاحة عقلهم وإدراكهم لما حولهم.

*

[8]{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} سورة البقرة، آية 30

رفـاق الرحلة

إن لم يكن أنا وأنت وهم سببًا في خراب رحلتنا وتغيير مسارها من رحلة كنا نرجو فيها انسجامًا وتفاهما قبل أي راحة أو استجمام.. إذا من هو السبب؟! من هو السبب الذي قلب الطاولة على رؤوسنا لنصبح كلنا منكوبين إلا قلة قليلة أصبح أفرادها تجار أزمة وصيادي فرص.

معكم حق أن تنفو مسؤوليتكم عن كل ما حصل فلا يوجد عاقل يمكنه أن يعترف بمسؤوليته الكلية أو الجزئية عما جرى طالما إن الخراب عم والفاتورة اتسعت والمركب الواحد هوى فينا جميعًا نحو القاع.

قد يكون توقيت النقاش كان خطأ فادحًا، وقد تكون الأماني كانت كثيرة وكبيرة، وقد تكون طريقة النقاش وعصبية المتناقشين كانت صعبة وشديدة، وقد يكون ويكون، لكن كان هناك سببًا ومسببًا لكل ما حصل، لكن لا أحد يتجرأ ويعترف أنه السبب والمسبب في تخريب الرحلة وتغيير المسار.

أبدًا لا تنحصر المشكلة الأن بعد كل ما حصل من تخريب بالسبب والمسبب فقط طالما أنه وقع العطب وطافت اللعنة على القاصي والداني منا.

الجرأة والشجاعة الآن ليس بالاعتراف بالسبب بل بمن يقف ويلجم بحكمة هذا الثور الهائج الذي أكل الأخضر واليابس في رحلتنا ويطفئ نارًا حارقة أججتها رياح مجنونة من كل جانب أحرقت فينا كل جميل ويضع حدًا نهائيًا لما يجري فهل من حكيم منتظر يقول: "أنا لها"، أم ننتظر أكثر حتى توصد الحياة جميع أبوابها الجميلة في وجوهنا كما فعلت الإنسانية.

جانب من الأحزان

تحدثونني عن غيض أحزانكم، وفيض أحزاني بحور ممتدة وأنهار فياضة.

تحدثونني عن الأحزان بإيجاز وأنا أحدثكم عنها بإسهاب.

أحدثكم عن عدة سنين كنا نعيشها مهددين في كل ساعة منها بالمحن والاضطرابات الصحية، سنوات عشناها وكل صباح لا نعرف كيف سيأتي علينا المساء ولئن جاءنا بعد ضنك لا نعرف إن كنا سنبيت في منزلنا حتى يأتي علينا الصباح.

أحدثكم عن عيني التي فقدت بريقها في عنفوان نضارتها بعد إن صار لها من العدسات اثنتان صغيرتان تتقوى فيهم رغم الملمات.

أحدثكم عن عيني الأخرى التي ابيضت حزنا على فقدها الجلل فطار منها الوسن ونكبتها الأيام.

أحدثكم عن عقد ونيف ما زلت أحلم فيه ببساط ريح يحملني إلى بلدي هناك يهدهدني بأمواج الأمل تارة ويتركني في صدى الذكريات تارات.

عن ماذا أحدثكم أيضا.. عن غربة عشت فيها الأمرين، أم عن حرب غارت فيها المحاجر، أم عن تردي اقشعرت منه الأبدان.

عن ماذا أحدثكم إذا عصفت بوجهي الشدائد وجرفت أمامها الأمنيات وحال عقلي يقول لا تبكي فواقعنا لا ينفع معه إلا التغافل والنسيان.

عن ماذا أحدثكم إذا مات يومي، وتلاشى حلمي، وضاع العنوان

كم أنا وأنت وهو بحاجة لأياد حانية وقلوب رحيمة تبعث في نفوسنا الطمأنينة وتشعرنا أن الإنسانية لم تلفظ بعد أنفاسها الأخيرة، وتشعر بآلامنا وتحطم جدار مآسينا، وتبعث السلام والأمل بأرواحنا، وتنقلنا من ظلام الآلام إلى نور الآمال، وترسم لنا الحياة من جديد بألوانها البهيجة، وتأخذ بأيدينا لنحبو من جديد في قادم الأيام.

*

للّه درك أيها العقل

ما أجملك أيها العقل وما أجمل صنيعك، ظاهرك يضيء لنا الدروب ويُمهد لنا الوعور ويأخذ بأيدينا إلى جادة الصواب، وباطنك يحملنا على بساط من ريح إلى أمسنا الجميل فيجمعنا مع من أحببناهم وأحبونا رغم بُعد المسافات بيننا واختلاف الأقدار.

نشتاق لغوالينا نهارًا فتأخذنا إليهم ليلاً!! فمن أنت أيها العقل ومن تكون حتى تُسدي لنا كل هذه الأفعال؟ وما هو الظاهر منك وما هو الباطن؟!

قالوا عن ظاهرك أنه يشمل الجانب الواعي لأفكارنا، ومشاعرنا، وإدراكنا، وذكرياتنا، بينما باطنك يتضمن العمليات المعقّدة التي تُعالج خارج مجال الوعي فتدخلنا ضمن عالم عجيب وغريب بلا حدود ولا قيود أعلاه رحاب السماء وأدناها قعور الأرض. عالم أشبه بمرآة تعكس حنيننا وألمنا وأملنا وكل ضغوط حياتنا اليومية، عالم نُحلق فيه فرحين بين النجوم أو نغرق فيه مخنوقين في أعماق البحار، عالم لا يشبه عالمنا لا بمنطق ولا بقوانين مرة كأننا تستنشق فيه رائحة الجنة ورياحينها نرى ونسمع ونعانق من أحببناهم وأحبونا ورحلوا عنا منذ سنين، ومرة نكاد نختنق فيه بحبل من مسد لما تعكسه لنا من أهوال وأغوال نعيش فيها مرغمين مقهورين دون أي استطاعة لردة فعل أو حراك، فمهما بلغنا من خيال واسع وذاكرة متقدة نعجز عن مجاراة عقلنا الباطن ووصف

عملياته وتفاصيله التي تجمعنا مع من نحب أو ممن نخاف في أمكنة وأزمنة ليست لنا ولسنا لهم، يغور بنا بأعماقهم ويُحلق فينا بأفاقهم، نجول معه بالسهول والبراري ويسري بنا بالليالي كأنه لا يكل ولا يمل.

عن العقل الباطن يقول سيغموند فرويد[9]، مؤسس التحليل النفسي أن العمليات العقلية اللاواعية تلك قد تؤثر في سلوكنا على الرغم من أننا لا نستطيع تقديرها أوالتحكم بها كونها تحدث دون مستوى إدراكنا (الواعي).

بعضهم شبهوك يا باطن العقل بغرفة تخزين تجمع تجاربنا، ومعتقداتنا، وذكرياتنا، ومهاراتنا، وجميع المواقف التي مررنا بها في حياتنا من خير وشر، وتحتوي على جميع الصور التي رأيناها سواء برغبة أو بدون. فأجسامنا تحتوي على عدة خزانات منها للفرح ومنها للألم والعين كاميرا بشرية تلتقط كل ما نراه من صور إيجابية وسلبية وتحولها إلى العقل فيلتقطها الباطن منه ويعرضها علينا أثناء نومنا، منها ما يسعدنا كأحلام ومنها ما يقلقنا كمنامات مزعجة.

آخرون قالوا إنك يا ظاهر العقل مثل القسم المغمور من الجبل الجليدي، ما يطفو منك فوق سطح الماء ويبدو للعيان فهو جانبك الظاهر (الوعي).

---

9 سيغموند فرويد: (1856 –1939) طبيب أعصاب ومفكر نمساوي ومؤسس علم التحليل النفسي. وعلم النفس الحديث. اشتهر فرويد بنظريات العقل واللاواعي، حصل فرويد على جائزة غوته في عام 1930.

أملنا بالله يا باطن العقل أن تأتينا لتنقذنا مما نحن فيه من كدر ومعاناة وتحلق فينا في عالم جميل من أحلام وأمال ويكون حلمنا معك مليئا بالأمل والحب. لنبقى نقول: لله درك أيها العقل.. مهما بلغنا من سعة في وقتنا ومالنا نعجز أن نجاريك في إيجابياتك وحسن أفعالك وجليل خدماتك فأنت وحدك من يداوي جراح أيامنا العصيبة.

*

مقام صاحب الفضل

لا شك في أن الله جل شأنه هو صاحب الفضل الأعظم في السخاء والنعم على عباده، وما الإنسان إلا وسيلة في وصول ذلك الفضل لأخيه الإنسان . وأوجه شكر نعم الله على عبده كثيرة منها: رضا العبد وقناعته بما يملك وعدم الاعتراض على رزقه، وإحساسه الصادق بأنَّه مقصِّر في شكر الله على نعمه لأنه مهما فعل لن يوفّيه حقّه. والتواضع حال حصول النعم وعدم التكبّر بسببها. فكما يعلم الجميع أن النعم لا تدوم إلا إذا أدينا حقها وحقها الشكر والطاعة وحافظنا عليها من الإسراف والمعصية كما جاء في محكم التنزيل {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}[10]

ولكن كيف يكون الشكر والعرفان لأشخاص أقرباء منا أو غرباء عنا كان لهم فضلاً كبيرًا علينا في صنع معروف أرشدوا فيه حيرتنا وأغاثوا فيه لهفتنا، فمهما كان عمل الخير صغيرًا فهو فضل والاعتراف فيه وتقديره واجب يتطلب شكر صاحبه والثناء عليه {وما جزاء الإحسان إلا الإحسان}[11] سواء أكان مقدمه أخًا أو قريبًا أو صديقًا أو جارًا أو صاحب يد بيضاء أو فاعل خير قدّم لنا خيرًا ووقف بجانبنا أيام الشدائد والملمات.

---

10 سورة الأنبياء، آية 35

11سورة الرحمن، آية 60

شخصيًا، أحسب أن أمام صاحب الفضل وأعماله الخيّرة ومساعيه الحميدة تبقى كلماتنا قليلة وألسنتنا متلعثمة عن تقديم ما يليق به من شكر وتقدير. في حضرته تقف قلوبنا وعقولنا احترامًا وتقديرًا وامتنانًا له ولروعة عطاياه مهما كانت بسيطة.

أرى أن مجلدات من كلمات الشكر والعرفان بالجميل لصاحب الفضل لا تفيه حقَّه، ولا تُقابل جزءاً من سجايا أفعاله، فمهما مرت علينا السنون ودارت بنا الدروب يبقى صاحب الفضل صاحبًا وفيًّا وأخا حنونًا، ووطنًا رؤومًا، وجبلاً شامخًا، وشمسًا دافئة. نرفع له أكف الدعاء لرب السماء أن يجزيه عنَّا خير الجزاء، ويكرمه من واسع فضله ومغفرته ورحمته، ويُعظِّم قدره، ويرفع شأنه في الدنيا والآخرة، وتبقى ذكراه أجملَ ما اعتمرت به قلوبنا واختلجت به مشاعرنا وله المقام الأول عندنا بدون منازع لِما سعى به أمامنا من عون مكين وسند متين، وناصح أمين في سنوات الحاجة والأنين.

*

هلّا تحرينا الدقة

اعتاد كثيرون منا على ارتياد صفحات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي بشكل يومي غالبًا بهدف التسلية أو بهدف الحصول على معلومة بدلاً من الرجوع إلى مناهل العلوم مثل أمهات الكتب والقنوات الرسمية المتاحة مقنعين أنفسهم أن تلك الصفحات أنها مصادر موثوقة رغم أن معظمها وخاصة صفحات التواصل الاجتماعي تفتقر إلى المهنية والدقة لاعتمادها على النسخ واللصق دون تدقيق أو تحقيق فتُغيّب عقول المتابعين بدلاً من تنميتها.

للأسف كم من صفحات دينية ضللتنا الطريق في إيراد أحاديث موضوعة وأقوال دخيلة، وكم من صفحات أثارت الخلافات وأيقظت الفتن وأججت النيران بدلاً من رأب الصدع وتقريب وجهات نظر.

وكم من صفحات حاولت أن توهمنا أنها علمية وأدبية وكان العلم والأدب منها براء فلا هي أعطتنا فائدة علمية ولا هي أغرتنا بمعسول الكلام وحلاوة النظم ولا هي فرغت من الأخطاء الإملائية والنحوية.

من هذا الحال وذاك المآل، ألا يجب علينا أن نتحرى صحة المعلومة من مصادر موثوقة قبل أن نحتفظ بها في عقولنا ونحشو بها أحاديثنا سواء بمجالسنا الاجتماعية أو صفحاتنا بوسائل التواصل من أجل ألا تكون مليئة بالأكاذيب والافتراءات كما هي عند البعض وكي لا نوهم من يسمعنا أو يقرأ لنا بموفور العلم وعمق الثقافة.

ألا يجب علينا الرجوع إلى مصادر المعلومات المتعددة حسب حاجاتنا إليها قبل أن نصبح للأخرين مصدرا للغمز واللمز؟

من تلك المصادر الوفيرة:

المصادر المطبوعة متوفرة في المراكز الثقافية، ودور الكتب الوطنية، والمكتبات العامة والخاصة، فيها الكتب، والمعاجم، والصحف والدوريات.

المصادر السمعية والبصرية متوفرة في المكتبات الوطنية والأرشيف، فيها التسجيلات الصوتية، والبرامج الإذاعية، والأفلام الوثائقية.

المصادر الإلكترونية متوفرة في أجنحة مراكز الأرشفة الإلكترونية في المكتبات الوطنية، فيها البيانات المخزنة على وسائط مختلفة مثل الأقراص المرنة والصلبة، والمعلومات المحققة على صفحات الإنترنت الرسمية.

نعم ثمة دقة يتوجب علينا جميعًا أن نتوخها عندما ننشد تعزيزًا لكتاباتنا وأقوالنا وأفكارنا ومعلوماتنا كي نسعد ونساعد على الرقي بالذائقة الثقافية لمن يسمعنا ويتابعنا وكي تكون صفحاتنا وأقوالنا منارة تضيء دروب المحبين للثقافة والأدب.

كن منتجاً.. تكن بخير

قد يستغرب البعض من العنوان وقد يألفه آخرون لكنني أعني ما أقوله حرفيًا ولكن ليس الإنتاج هنا كما يظن البعض على أنه مقرون بمصنع وتصنيع منتج أو وظيفة تدر على صاحبها دخلاً يُنعش فيها حياته ويُغطي متطلباته اليومية ولئن تحقق له ذلك كان بخير، ما أقصده هو ما يقوم به المرء من أفعال تجلب له الشعور بالسعادة والإيجابية والرضا عن نفسه الأمر الذي يعود عليه وعلى المقربين منه من عائلة ومجتمع بالنفع والفائدة ..

أليست عبادة المرء لربه فعلا إيجابيا؟! أليس بره لوالديه كذلك؟! أليست مساعدته للقريب والبعيد فعلاً إيجابيا؟! وتربيته لأولاده تربية سليمة كذلك؟ أليست مهنيته وإخلاصه في أداء عمله مهما كان نوع عمله فعلاً إيجابيا؟!

نعم، فكل فعل يتقرب فيه المرء لربه ينفع فيه نفسه وينفع الأخرين هو فعل إيجابي؟! كيف لا وكلها أفعال منتجة للإيجابية والإيجابية منتجة للخير.

كم جميل أن نجعل مسيرة حياتنا عاطرة وحافلة بالأفعال الإيجابية من خلال خدمتنا لأهلنا وخدمتنا لغيرنا بأعمال جليلة نُؤجر عليها.

تصور أن أحدهم لا يُجيد فعل شيء مما سبق في يومه كأنه "كَلٌ على مولاه" هل سيجلب لنفسه ولغيره أي خير؟!

إن كانت ابتسامتك في وجه أخيك صدقة[12] وفقاً لمنهج نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في تربيته للنفوس على الخير، وأنك تؤجر عليها لما فيها الكثير من الإيجابية وحسن التعامل مع الأخرين فما بالك بتقديم الخير له وفعل المعروف معه.

السلبية والإيجابية خطان متناظرا الاتجاه كلما أقبل أحدهم أدبر الآخر فكلما زاد إنتاج الفرد من أفعال إيجابية زادت فرص خيره له ولمن حوله والعكس صحيح كلما شحت أفعاله الإيجابية زادت سلبيته وتوارى خيره وكثرت نقائصه.

لئن عجزت عزيزي القارئ عن أن تكون منتجًا للإيجابية لسبب ما في ظرف ما.. لا تكن مقلاً للتفكير فيها والعزم على فعلها قريبًا، ولا تحرم نفسك من قسط ولو بسيط منها بمحرد التفكير فيها على أقل تقدير لأن مجرد التفكير فيها تبعد نفسك عن السلبية والسير في قعورها لذا نصيحتي لك أن تجعل الإيجابية هدفك ومسعاك فمهما كانت الإحباطات حولك هادمة فاعلم أن تحت كل رماد حياة.

12 أخرج الألباني في صحيح الترمذي، عن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه- أنّ النّبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (تبسُّمُكَ في وجْهِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ وأمرُكَ بالمعروفِ ونَهيُكَ عنِ المنْكرِ صدقةٌ وإرشادُكَ الرَّجلَ في أرضِ الضَّلالِ لَكَ صدقةٌ وبصرُكَ للرَّجلِ الرَّديءِ البصرِ لَكَ صدقةٌ وإماطتُكَ الحجرَ والشَّوْكَ والعظمَ عنِ الطَّريقِ لَكَ صدقةٌ وإفراغُكَ من دلوِكَ في دلوِ أخيكَ لَكَ صدقةٌ) وفي هذا الحديث بيان واضح لكَثرةِ طُرقِ الخَيرِ، وأنَّ الصَّدقةَ تكونُ أيضًا مِن غيرِ المالِ

تعددية الوجوه نفاق

قد لا يكفيك أن تكون أمينًا بعملك متفانيًا فيه تقوم فيه على أكمل وجه تنفذه بالوقت المناسب وبالشكل المناسب لترضي رئيسك المباشر وغير المباشر.

وقد لا يكفيك أن تكون مخلصًا في علاقاتك مع الأخرين من أقرباء وأصحاب وجيران تسأل عنهم في حضور وتستفقدهم في غياب لترضيهم وتحظى منهم باحترام.

نعم كل ذلك قد لا يكيفك بل ينقصك ممارسات عدة منها كلامية ومنها فعلية تبدأ باختيار ألفاظ التبجيل وتستمر بتمسيح الجوخ طمعًا في رضاهم وأفعالهم التي طالما راحت لغيرك لسبب وحيد انه سبقك في اختيار معسول الكلام معهم والتمثيل أمامهم.

حقيقة بت لا أدري لماذا يتوجب على البعض أن يكونوا متعددي الوجوه بين الناس يمالقون هذا ويمدحون ذاك دون وجه حق، يرفعون من شأن من لا يستحق ويقللون من شأن من يستحق. في مجالسهم وأسمارهم يرحبون بأصحاب الجيوب الممتلئة دون معرفة المصدر يعظمونهم أخر تعظيم يهللون لقدومهم ويقدمون لهم صدور المجالس، يحلفون برؤوسهم، يصورنهم مثلاً أعلى في الذوق والأخلاق وحتى في الدين رغم سخف حديثهم وعجرفة لسانهم والتواء مسيرتهم، بينما يتباهون في تسخيف أغنياء العقول رغم رجاحة فكرهم وأنس مجلسهم

يقاطعونهم في كل مرة ويتوارون عنهم في كل مجلس. يرحبون بالضيوف ويتظاهرون أمامهم بكرم حاتمي ضيافةً وكلامًا وما إن يخرجون من عندهم حتى تلحق بهم الشتائم من كل حدب وصوب، يتفاخرون في مجالسة من يعملون "السبعة وذمتها" ويرفعون لهم القبعة ويجلونهم في الأوصاف والنعوت، وفي غيابهم يعكسون الصورة ويقلبون الكلمات.

حقا هؤلاء أناس هم للنفاق عنوان وهم الأولى من الثلاث في أية النفاق الأصغر "إذا حدث كذب"[13]

للأسف أصبحنا نجد للنفاق الأصغر أشكالاً ألوان منه النفاق الاجتماعي والنفاق الوظيفي والنفاق الديني والنفاق الإلكتروني، صرنا نلقاه في كل مكان، في البيوت، في الشوارع، في الأسواق، في المؤسسات، في الجامعات، في صفحات وسائل التواصل الاجتماعي، وحتى في المساجد

طالب يمدح ويوشي لأستاذه على زميله طمعا بأعلى الدرجات.. نفاق وظيفي

موظف يمسح الجوخ لمديره طمعا بترقية.. نفاق وظيفي

13 آيةُ المُنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا ائْتُمِنَ خان" حديث شريف رواه أبو هريرة وأخرجه البخاري ومسلم.

جار يتقرب من جاره الميسور ويصد عن جاره الفقير.. نفاق اجتماعي

رجل دين يتقرب من عَلية القوم على حساب صغارهم.. نفاق اجتماعي

مصلون يبالغون في حركاتهم ومزاحمتهم للمصلين وتخطيهم للرقاب للوصول للصف الأول، وفي علو أصواتهم في المساجد.. نفاق ديني.

أصدقاء مزيفون يمطرون صاحب منشور أجوف بوسائل التواصل الاجتماعي على أنه إبداع ومميز.. نفاق إلكتروني..

ولعل الجديد الدارج بالنفاق في هذه الأيام النفاق الإلكتروني الذي راح يشرئب للعيان نتيجة لعلاقات مزيفة لا تشبه الواقع بشيء ميدانها وسائل تواصل اجتماعي وجنودها أصدقاء افتراضيون بنوا علاقاتهم على جدران هلامية حجارتها من أقنعة تفضح أصحابها دينيا واجتماعيا.

على صفحات التواصل الاجتماعي صرنا نرى الناصحين بحميد الأخلاق وبر الوالدين وهم منها براء، يدلون بالاستقامة والاستواء وقلوبهم منها جوفاء، حقا بصفحاتهم المقززة تلك أوصلونا إلى النوع الأخر من النفاق.. النفاق الأكبر

*

الاعتدال المناخي نعمة

تحت سماء قانية مطرزة بحشد من نجوم باهتة وغيوم متفرقة تكاد أن تغادر مكانها ببطء مقيت، كان هنالك شاب عربي ينفخ من أنفه في جهد فتتلون شاربيه كما كانت تتلون شوارع مدينة سانت بطرسبرغ[14] بياض ثلجي جميل، بهكذا مشهد أدهشني فيديو نشره رحالة مصري انطلق برحلة استكشافية من دبي في أواخر شهر نوفمبر 2023 بينما كانت درجة الحرارة فيها 28 ليصل مقصده بدرجة حرارة 30 تحت الصفر معربًا عن نيته بالانتقال خلال أيام قليلة لمدينة أخرى في شمال سيبيريا حيث درجة الحرارة تصل فيها إلى 70 تحت الصفر في الشتاء القارص رغم تحذيرات عدة جاءته من أصدقائه الروس بالعدول عن نيته لخطورة الأجواء هناك.

حقًا أرعبني المنظر وأثار في نفسي تساؤلات طالما كانت تراودني دائما.. كيف لشعوب المناطق الباردة جدا في سيبيريا وأيضا المناطق الحارة جدًا القريبة من خط الاستواء أن يمارسوا حياتهم العادية بشكل طبيعي إذا ما دارت عليهم الحروب وتسببت في ندرة موارد الطاقة وانقطاع التيار الكهربائي وشح المياه، تلك التساؤلات وأخرى ما زالت

[14] سانت بطرسبرغ: مدينة روسية يبلغ عدد سكانها 5.5 مليون نسمة كانت تسمى لينينغراد تقع على دلتا نهر نيفا شرق خليج فنلندا على بحر البلطيق. وهي ثاني أكبر مدن روسيا وعاصمة سابقة لروسيا القيصرية.

تراودني لعدم قناعتي التامة بالإجابات التي جاءتني بعد نقاش مع بعض القاطنين بتلك المناطق وأهل الخبرة.

بخصوص المناطق الباردة، ضابط دكتور كان مقيمًا في روسيا خلال مدة إيفاده إليها لمدة أربع سنوات لم يفلح في إقناعي أن درجة الحرارة داخل الأبنية السكنية والأسواق والمؤسسات الحكومية والخاصة وجميع مرافق الحياة العامة من محطات باصات ومترو ومطارات وأسواق مغلقة تتراوح عادة بين 20 و25 فوق الصفر حيث لا يمكنك مشاهدة مظاهر القشعريرة والبرد إلا في الشارع والأماكن المفتوحة التي يتغلب عليها القاطنون من خلال ارتداء القفازات وأغطية الرأس والكمامات والسميك من اللباس الصوفي والفرو بالإضافة لنوعية المأكولات والمشروبات المعتاد عليها بكثرة هناك (خاصة مشروب الفودكا[15]) لتلطيف درجة حرارة الجسم حسب ثقافة أهل البلد.

أما من ناحية المناطق الحارة فقد جرى حديث مطول على أرض الواقع بحكم إقامتي وعملي في إحدى دول الخليج العربي مع كبار السن الذين ولدوا وترعرعوا في تلك المناطق قبل نهضتها المشهودة، أحدهم تجاوز السبعين أخبرني أن نوعية الطوب وطريقة البناء كانت سببًا كبيرا

15مشروب الفودكا (Vodka) هو أحد المشروبات الكحولية المقطرة، يحتوي على نسبة تتراوح ما بين 40 إلى 55% من الكحول، وهو مشروب صافي وعديم اللون، وليس له رائحة أو طعم. يتناوله المقيمون في المناطق الباردة جدًا طعما بالدفء. يتسبب تناول الفودكا وغيره من المشروبات الكحولية بالعديد من المشاكل الصحية للجسم منها احتمالية الإصابة بهشاشة العظام والسرطان، وتليف الكبد والجهاز الهضمي، واضطرابات في القلب.

في خفض حرارة مساكنهم بالإضافة لتباعد المنازل عن بعضها البعض ووجود البراجيل في منتصفها (مفردها يرجيل)[16] هذا بالإضافة للبنية الجسدية والاعتياد على التحمل التي كانت تتمتع فيها الأجيال السابقة.. كلها كانت أسباب ساعدت على تلطيف درجة الحرارة واستمرارية الحياة رغم كل ما كان ومازال في مناطق الخليج العربي من أجواء قيظ تستمر عادة من شهر أبريل نيسان حتى نهاية شهر أكتوبر تشرين الأول من كل عام، فسمرة كبار السن ونحافة الحيوانات الأليفة خير دليل على قساوة الأنواء في ماضي الأيام في مختلف دول الخليج العربي.

بقي تساؤل بسيط ماذا لو شح الغاز في الشمال الروسي وما شابهه من مناطق متفرقة في الشمال الأوربي والكندي المشهود لها بتدني درجات الحرارة إلى ما دون 30 درجة، ماذا لو نفدت الموارد البترولية وانقطع التيار الكهربائي في المناطق الحارة؟ ما هو مصير البشر هناك؟ هل ستبقى تلك المناطق مناطق جذب يتهافت عليها الملايين من البشر سنويًا؟

قالت ستي: "إذا أتجلت أفرجت" عذرًا يا ستي، يبدو أن بعض أمثالكم مناطقية وليست منطقية لأنها لا تنطبق إلا على محيطنا الجغرافي الصغير.

16البرجيل: مسرب هواء أو برج هوائي يُبنى فوق المنزل كوسيلة لزيادة التهوية في الصيف من خلال فتحات جانبية تسمح بدخول نسمات الهواء الباردة من الجهات الأربعة وتعمل على خروج الهواء الساخن من الداخل لإحلال الهواء اللطيف على كافة أرجاء المنزل.